توظيف الأسطورة في شعر على جعفر العلاق

نماذج مختارة

دكتور

هدى عثمان حسن

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

ملخـــــص البحـــــث

يقدم هذا البحث نموذجًا لتوظيف الأسطورة في الشـــعر العربـــي المعاصر تحت عنوان " توظيف الأسطورة في شعر علـــي جعفـــر العلاق نماذج مختارة"

ولعل هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي تمكننـــا مـــن الوقوف على جماليات العنصر الأسطوري داخل النص الشعري.

فما من شاعر معاصر إلا ووظف الأسطورة في شعره، وعلـــي جعفر العلاق من رموز الشعراء المعاصرين الذين وظفوا الأسطورة للتعبير عن آلام وآمال الإنسان المعاصر، التي لم يستطع أن يصرح بها مباشرة.

فالأسطـــورة نفثة من نفثات العـــــلاق الشـــعورية الداميـــة، بوصفها واسطته في الكشف عما يحتمل في داخل نفسه من آهـــات وتوجعات شعورية يندب إثرها بلاده الضائعة تحت جحافل الغـــزاة المتآمرين على وحدتها، ليختلط حبر القصيدة بـــدماء الأســـى علـــى أنقاض ذكرياتها العريقه، وتلتحم رؤاه العميقة بمحفزات الأســـاطير ومداليلها العميقة.

الكلمات المفتاحية: الطقس– التكوين – الرمز – الوطن

دكتور

هـــدى عثمان حســـن

أستاذ مساعد بقســم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم–جامعة المنيا

Hoda.hassan1@mu.ed.eg

Abstract

This research presents a model of using the legend in the modern arab poetry under the title of " Using the Legend in the Poetry of Ali Gafar Al-Allak, selected models

This subject is one of the most important subjects which enable us to know the beauty of the legendary element inside the poetical text. All modern poets use the legend in their poetry. ALi Gafar Al-Allak is one of the modern poets who used the legend to express pains and hopes of modern man that he couldn't' t express directly .

The legend is a releasing verse of the bloody sensational verses of Al-Allak, depicted by him to explain what he suffers from the sensatioal sighs and pains repenting his lost country under conspiring crowds of raiders against the unity of his country, thus the ink of the poem is merged with blood of sorrow upon the ruins of great memories, uniting his deep insights with the motives of the legends and their meanings.

Keywords: Weather, formation, symbol, homeland

Dr

Hoda Othman Hassan

Assistant Professor in literary Studies Dept.

Dar al- Ulum College - Minia University

Hoda.hassan1@mu.ed.eg

مقـــدمـــــــة

تعد الأساطير إحدى الوسائل التـــي علقـــت بشـــعرنا الحـــديث والمعاصر، وقد لجأ إليها الشعراء بصفة عامة لارتباطهـــا بمـــردود واقعى في عالمنا المعاصر.

فهي ليست مجرد نتاج قـــديم يـــرتبط بالماضـــي فقـــط، وإنمـــا هـــي نتـــاج معرفـــي جمعـــي ممتـــد فـــي الماضـــي والحاضـــر والمستقبل، يحصر الماضي فـــي الحاضـــر، ليمتـــد ويتكـــرر فـــي المستقبل، لذلك فهي عامل أساسي وجوهري لحيـــاة الإنســـان فـــي كل العصور، وهو ما يتطلب توظيفها.

فتوظيف الأسطورة في القصيدة المعاصرة رؤية فنيـــة وثقافيـــة ترجع بدورها إلي مرجعيات ثقافية أخرى تاريخية وأسطورية، كمـــا أنها ليست رؤية فردية، وإنما هي محصلة وعى جمـــاعي يتشـــكل فكرياً وجمالياً لينهل من مرجعيات ثقافية متعددة الأبعاد والمصادر.

ولا يمكن إغفال هذا الجانب خاصة وأن غالبيـــة الشـــعراء قـــد اعتمدوها وسيلة من وسائل خطابهم الشـــعري فـــي مصـــر وفـــي العالم العربي.

وأمام هذا الزخم الفكري، وجدت نفسي مدفوعة للوقـــوف أمـــام شعر على جعفر العلاق، بوصفه رمزاً من رموز الشـــعر العراقـــي المعاصر، ومن الذين وظفوا الأسطورة للتعبيـــر عـــن آلام وآمـــال

الإنسان المعاصر، التي لم يستطع أن يصرح بها مباشرة؛ كذلك الحرص الشديد على إلقاء الضوء على النتاج الشعري لهذه الشخصية الشعرية المبدعة من جهة، والرغبة في دراسة هذا الموضوع المتمثل في " الأسطورة" من جهة أخرى.

ومن ثم فما من شاعر معاصر إلا ووظف الأسطورة في شعره ومن هنا يحق لنا أن نتساءل عن دواعي الاستحضار، الأسطوري عند الشاعر على جعفر العلاق؟ وما هي طبيعة هذا الاستحضار الأسطوري عنده؟ وكيف يمكن لنا أن نقف على جماليات العنصر الأسطوري داخل النص الشعري وذلك من خلال استثمارنا لآليات المنهج الأسطوري.. [1] وعليه فقد قسمت البحث إلي ما يلي:

(١) هو أحد المناهج النقدية، التي برزت على الساحة الأدبية، ويقوم على توظيف الشاعر أو الكاتب للأسطورة في عمله الأدبي، ويرتبط هذا المنهج بالمنهج التاريخي؛ لأنه يستدعي أسطورة معينة في فترة معينة من تاريخ الإنسان، كما أنه يرتبط بالمنهج النفسي من حيث اهتمامه بالأسطورة كإطار عام يوظف الشاعر من خلالها أحاسيسه ومشاعره وينقلها إلي متلقٍ يشاركه هذا الإحساس، كما أنه يرتبط بالمنهج الجمالي حيث إن توظيفه للأسطورة يبعث قيمة جمالية داخلية للعمل الأدبي، انظر التذوق الأدبي ، طبيعته، نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه، ماهر شعبان عبد الباري، دار الفكر الأردن ط١، ٢٠٠٩،ص٢١٢

- المبحث الأول: ماهية الأسطورة.
- المبحث الثاني: أنواع الأساطير.
- المبحث الثالث: فكرة توظيفها في الشعر المعاصر ومهام الأسطورة في الشعر.
- المبحث الرابع: نماذج من توظيف الشعراء المعاصرين للأسطورة
- المبحث الخامس: الأنماط الأسطورية لدى العلاق،

المبحـــث الأول

ماهية الأسطورة في اللغة والاصطلاح

الأسطورة في اللغة من سطر، وسطر السطر أي الصـف مـن الكتاب والشجر

والنخل ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأسـاطير وسطور، ويقال بني

سطراً وغرس سطراً. والسطر: الخط والكتابة..(١)

"وأسطورة (اسم) خرافة، حديث ملفـق لا أصـل لـه. وعلـم الأساطير: علم يبحث في مجموعة الأساطير المعروفة والشائعة لدى شعب من الشعوب وخاصة الأساطير المتعلقـة بالآلهـة والأبطـال الخرافيين عند شعب ما"..(٢)

(١) لسان العرب لابن منظور الأنصاري دار صادر مادة سطر.

(٢) المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، ابن عباس، ابن قتيبه، مَكى بن أبي طالب، أبو حيان، إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عـز الـدين السيروان. دار العلم للملايين.

وفي الاصطـــــلاح:

تعددت تعريفات الأسطورة، ومن هذه التعريفات التي وردت عنها أنها "قصة خرافية يسودها الخيال، وتبرز فيها قــوى الطبيعــة فــي صورة كائنات حية ذات شخصــية ممتــازة ويبنــى عليهــا الأدب الشعبي"..(١)

وتعرف الأسطورة أيضًا بأنها " القسم الناطق مــن الشــعائر أو الطقوس البدائية أو بمعناها الواسع هي أية قصة مجهولة المؤلــف، تتحدث عن المنشأ والمصير ويفسر بها المجتمــع ظــواهر الكــون والإنسان في صورة تربوية "..(٢)

كما يراها د. أحمد كمال زكي بأنها " عبارة عن حكاية تتألف من مجموعة من الأحداث التاريخية التي تحدثت عنها الذاكرة الإنســانية لكن بشكل آخر غيرت في طريقته أو أضافت إليه"..(٣)

---

(١) الأسطــورة في الشعر، عبد الرازق صالح، دار الينابيع للطباعة والنشر، دمشق سوريا، ط١، ٢٠٠٩م ص٧.

(٢) الغموض في الشعر العربي المعاصر، إبراهيم رماني، صدر عــن وزارة الثقافة في الجزائر عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٧م ص ٣٥٣.

(٣) الأساطير أحمد كمال زكي الهيئة المصرية العامة للكتــاب ط١ المكتبــة الثقافية ص ٨٥.

ومهما تعددت تعريفات الأسطورة إلا أن التعريف المجمع عليه هو أنها " قصة أقل ما قيل عنها مقدسة"..[١] لأنها دائماً ما تشرح كيفية خلق وتطور العالم والإنسانية إلي شكلها الحالي.

وهناك علاقة وطيدة ما بين الأسطورة والشعر، حيث تمثل الأساطير مصدر إلهام للشاعر والفنان.

"وإذا كانت الأسطورة مصدر للإلهام الفني فإن الشعر هو وليد الأسطورة وهذين الآخرين يلتقيان في أن كليهما يمنح الزمان صفة الديمومة، حيث بوسعنا أن نرى في الأسطوري والشعري الحاضر المستمر والمستقبل الدائم"..[٢]

وكذلك ترتبط الأسطورة بالتاريخ، فالأسطورة هي جزء من التاريخ، ومصدر من مصادره، يقول وديع بشور " وعلى كل حال ستبقي الأسطورة أحد مصادر الاستدلال في البحث التاريخي وإن لم تكن هي التاريخ"..[٣]

---

(١) الغفران في ضوء النقد الأسطوري، هجيرة لعور، شركة الأمل للطباعة والنشر ط١ القاهرة ٢٠٠٩م ص ٥٠.

(٢) الحب عند رواد الشعر الجديد رموزه ودلالاته، عبد الناصر حسن. محمد، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٥.

(٣) سلسة عندما نطق السراة: الأسطورة توثيق حضاري جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط١، ٢٠٠٥م ص ١٠٧ نقلاً عن وديع بشور: الميثولوجيا السورية: أساطير آرام ص ١٤.

ويرى محمد خليفة حسن أن الأسطورة والتاريخ يمثلان وجهان لعملة واحدة حيث يقول " إن التشابه بين وظيفة وطبيعة التاريخ والأسطورة أدى إلي خلق علاقة ثنائية بين الطرفين، فبدا الأمر وكأنهما وجهان لعملة واحدة".. (١)

وللأسطورة أيضًا علاقة بالتراث فهي جزء منه وليست حكراً على أمه دون غيرها.

كما أن للأسطورة علاقة بالرمز، فللأساطير جميعها فعالية مجازية ورمزية، حيث تتضمن في داخلها الحقائق التاريخية أو الأدبية أو الدينية أو الفلسفية ولكن على شكل رموز تم استيعابها.

فاستخدام الرمز والأسطورة والتاريخ والتراث في الخطاب الشعري المعاصر لم يكن عودة إلى التراث بقدر ما كان نوعاً من أنواع الجمال الذي يؤكد مكانة الإنسان، ويستحضر أعمق مشاعره الإنسانية وأرقها.

وقدر رأى "تايلور" أن الإنسان في المجتمعات الأولى كان يتمتع بقدرة خاصة تكاد تكون نوعاً من الملكة على صنع الأسطورة نتيجة

(١) الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم دراسة في ملحمة جلجامش؛ محمد خليفة حسن، الناشر عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ١٩٩٧م ص ١٠٩.

نظرية العامة إلي الكون وإيمانه بحيوية الطبيعة لدرجة تصل إلي حد تجسيد مظاهرها كلها على نحو رمزي"".. (١)

ومن هنا فإن للأسطورة أثر كبير تركته على مختلف العلوم والفنون، فوجد الإنسان في الأسطورة متنفساً يستكين إليه.

(١) النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة : نضال صالح منشورات اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠١ ص ١٤ نقلاً عن عبد المنعم تليمة: مقدمه في نظرية الأدب ص ٦١.

المبحـــث الثانـــي

أنـــــواع الأساطـــــير

تعتبر الأسطورة مثلها مثل العلوم الأخرى علمـاً مصـدَقاً بـه وبمحتوياته ومسلما بـه، وغالبًـا مـا تتنـاول الآلهـة وأنصـاف الآلهة، وطبيعة وجود الإنسان ودوره فـي هـذه الأسـاطير، كمـا أنها توضح ظواهر الطبيعة وكيفية نشـوء الكـون، وكيفيـة خلـق الإنسان، ولذا تعددت أنواع الأساطير وقد صـنف طـلال حـرب الأساطير إلى ستة أنواع، ويبـدو تصـنيفه أكثـر شـمولاً؛ لأنـه شمل تصنيف الدارسين السابقين عليه.

وهذه الأنواع هي

[١] الأسطورة التكوينية:

" تنظر هذه الأسطورة في مظاهر الكـون وحـدوثها، وتحـاول توضيح بدء الحياة وما مرت به من مراحل حتي اكتملت في الإنسان والحيوان والنبات، وتكمن مهمة هذه الأسطورة في أنها تصور لنـا كيف خلق الكون؟."(١)

[٢] الأسطورة الطقوسية:

حينما وضع الإنسان خلاصة تفكيره في الأسـطورة، "أصـبحت الأسطورة هي اللحظة النظرية في الوعي الإنساني البدائي، لكن هذه

(١) الغفران في ضوء النقد الأسطوري هجيرة لعور ص ٥٨،٥٩

الأسطورة لم تكن قصة تروى فحسب، بل كانت تتضمن طقوساً تعكس وتمثل الحالة الاجتماعية في عصرها، "وإذا كانت الطقوس تختص بالأفعال التى من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه ضد القوى المتعددة المهولة التي تحيط بالإنسان، فإن الأسطورة الطقوسية تمثل الجانب الكلامي لهذه الطقوس، ولم تكن الأسطورة تحكى من أجل التسلية، ولكنها كانت أقوالاً تمتلك قوى سحرية، بحيث إنها تسترجع الموقف الذي تصنفه".. (١)

[٣] الأسطورة التعليلية:

ملئت الطبيعة بظواهر كثيرة أثارت اهتمام الإنسان، ودفعته إلي التأمل بحثًا. عن تعليل لها، ولما كان الإنسان البدائي يمتاز بالنزعة الإحيائية، فقد علل الكثير من هذه الظواهر. ".. (٢)

(١) أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيله إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ص ١٦.

(٢) الغفران في ضوء النقد الأسطوري هجيرة لعور ص ٥٨،٥٩

[٤] الأسطورة الرمزية:

"تشتمل بعض الأساطير علي بنية رمزية، فالآلهة أو الأشخاص الرئيسيون يرمزون إلي مفاهيم مجردة، والأسطورة منطقها الرمزي الذي تتعامل به مع معطيات الواقع الفكري، إنها مثل الشعر نوع من الحقيقة أو معادل للحقيقة وليست منافسًا للحقيقة العلمية أو التاريخية"(١).

[٥] أساطير الآلهة:

"تمتلئ الأساطير بقصص الآلهة، وهي قصص متنوعة فطوراً نجد صراعاً هائلاً بين الآلهة كصراع إيزيس وأوزيريس مع ست في الأساطير الفرعونية، وصراع أننا وأريسكيجال في الميثولوجيا السومرية، وطوراً نجد قصص حب مولهة كقصص رؤوس الميثولوجيا اليونانية أوجوبيتر في الميثولوجيا الرومانية.. لكن يتبقى الكثير من القصص التي جرت بين الآلهة وصورتهم كأشخاص بشريين يحبون ويكرهون، ويتشاجرون ويتصارعون ويتقاتلون، بعضهم أناني شهواني، وبعضهم طيب القلب محب للغير" (٢)

(١) نفسه ص ٥٨

(٢) نفسه ص ٥٩

[٦] الأسطورية البطولية:

" تطالعنا في الأساطير مجموعة من الأبطال الخارقين الذين اضطلعوا بمهمات صعبة، وأحياناً مستحيلة لتحقيق هدف يفوق القدرة البشرية أحياناً، أو لقيادة قبائلهم أو شعوبهم إلي محطة الأمان".(١)

ولعل جلجامش أقدم هؤلاء الأبطال الأسطوريين، فقد هزه موت صديقه أنكيدو، لذلك انطلق باحثًا عن الخلود الذي تمتلكه الآلهة؛ وبعد أن خاض الأهوال وقاسى الصعاب الجمة، حصل علي عشبة الخلود، ولكنه تقاعس في الاحتفاظ بها، فضاعت منه، وضاعت حياته إلي الأبد. ".. (٢)

(١) نفسه ص ٥٩

(٢) السابق ص ٥٩

المبحـــث الثالـث

فكـرة توظـيف الأسطـورة

لجأ الشعراء إلي توظيف الأسطورة للتعبير عـن قـيم إنسـانية محددة، ومعتقدات دينية، وأسباب سياسية، يصعب علـيهم التعبيـر عنها مباشرة، لذا اتخذوا من الأسطورة قناعاً يعبرون من خلاله عما يريدون من أفكار ومعتقدات تجنبًا للملاحظات السياسية أو الدينية.

" فتكون شخصيات الأسطورة ستاراً يخفي الشاعر خلفه ليقـول ما يريده، وهو في مأمن من السجن أو النفـي، كمـا أن اسـتعمال الأسطورة يطرح مستويات مختلفة للتأويل".. (١)

وأشار دكتور عز الدين إسماعيل إلي أن " من أبرز الظواهر في تجربة الشعر الجديد الإكثار مـن اسـتخدام الرمـوز والأسـاطير، فالعلاقة القديمة بينهما وبين الشعر، ترشح لهذا الاسـتخدام، وتـدل عندئذ على بصيرة نافذة بالشعر والتعبير الشعري"..(٢)

---

(١) في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جماليـة، رمضـان الصـباغ دار الوفاء للطباعـة والنشر والتوزيع الاسكندرية- مصـر ط ١، ٢٠٠٢، ص ٣٤٤.

(٢) الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنويـة عـز الـدين إسماعيل دار العودة بيروت- لبنان ط٣، ١٩٨١، ص١٩٥

كما أن الأسطورة تتضمن جذوراً شعبية رائجة، ولهذا كان توظيفها في الشعر يهدف إلي أشياء كثيرة من أهمها " تقريب المسافة بين الشاعر وجمهوره، عبر رموز مشتركة يتمثلها هذا للجمهور في تراثه حق تمثل، وتنحدر إليه من أحقاب سحيقة يلفها السحر والغموض" .. (١)

أي أن نجاح الشاعر في استغلال رمزيات الأسطورة وما تحمله داخلها من إشارات تراثية يتوقف على مدى حاجة النص الشعري لها، ومدى معالجة هذه الأسطورة لهذا النص الشعري، بحيث لا تكون الأسطورة مجرد استعراض لثقافة الشاعر، كما يتوقف ثانياً على مدى إيمانه بهذه الأسطورة وتمثله لها، واستطاعته تحوليها إلي نص داخلي يتخلل القصيدة، ويندمج معها ويحقق معها البعد الجمالي المستهدف من ورائها " أي أن قيمة توظيف الأسطورة لا تتمثل في بعدها الدلالي الذى تنطوي عليه، وإنما تتجاوزه للبعد الجمالي المتأتي من حضورها في اللاشعور الجمعي ومن الكثافة والتوتر الدرامي اللذين تمتلكهما"..(٢)

---

(١) التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية، عثمان حشلاف ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،١٩٨٦،ص٢١.

(٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، الناشر دار المعارف، القاهر ط٣، سنة ١٩٨٤م ص ٢٩.

وهكذا فتوظيف الأسطورة بكثافتها الرمزية، من خلال مستويات التناص وآلياته المختلفة في تجربة الشاعر ينبع من طبيعة الرؤية التي تقدمها هذه التجربة على المستوى الجمالي والفكري والفني.

"فلا يتوقف توظيف الشعراء للأسطورة عند حدود تبريرهم للموقف الإيديولوجي إزاء القضايا المعاصرة، بل يمتد لتشكيل الصورة الشعرية وفنيتها... فالأسطورة عنصر من العناصر التراثية التي أتاحت للشعراء الإفادة من معطياتها في هذا العصر، فَتَتضمُن العمل الفني حدثًا أسطوريا أو شخصية أسطورية، يكون ذلك عنصراً يدخل في مكونات التجربة الشعورية والشعرية الحديثة".. (١) أي أن أهمية توظيف الأسطورة تكمن في الكشف عن قيمة الوظيفة الدلالية والجمالية التي تحققها في سياق النص الشعري سواء جاء التوظيف في جزء من القصيدة أو استغرقها كلها.

مهام الأسطورة في الشعر:

تأتي الأسطورة في سياق القصيدة أو في موضوعها للتعبير عن تجربة شعورية معينة، قد تتخطى الزمان والمكان ولكنها تواصل حلقات المصير البشري.

---

(١) صورة النار في الشعر المعاصر – مصادرها، دلالاتها، ملامحها الفنية، جمال حسنى يوسف دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع طـ ٢٠٠٥، ص ٦٨.

كما أنها قد تجمع في الخيال، وتجسد الأمور المعنوية وبذلك تكون معادلاً لمادة التجسيد التي تمنح المعاناة ملامح حسية وإبداعية.

" كما أن ورود الأسطورة في القصيدة الشعرية يخلق الذاتية والموضوعية، فيكون للشعر من الذاتية النشوة والمعاناة، ومن الموضوعية العمق والصدق.. (١)

(١) الشعر والدين فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي كامل فرحان صالح، دار الحداثة- بيروت،ط١، ٢٠٠٥ ص ٢٥٦،٢٥٧.

المبحـــث الرابـــع

نماذج من توظيف الشعراء المعاصرين للأسطورة

أكثر الشعراء المعاصرون من استخدامهم للأسطورة بطرق فنية وجمالية، وحاولوا الاستفادة من توظيفها رمزاً ودلالة فـــي الســـياق الفني للقصيدة، مما حمل القصيدة بدلالات كثيفة رمزية وموحية

" فقد انتقلت الأسطورة على يد الشاعر الحديث والمعاصر مـــن طور الاستعارة التي تتبادل فيها الشخصيات والأحداث تبادلاً محدود الدلالة إلي طور آخر، هو توظيفها داخل بنية القصيدة مع ضـــرورة فنية تدفع إلي استخدامها وفي تلك الحالة قد يلجأ الشاعر إلي تفتيـــت إطار الأسطورة ويعيد صياغتها من جديد بما يتفق وواقـــع تجربتـــه الشخصية، أو قد يلجأ إلي تلخيصها وطرح هوامشـــها وتقريراتهـــا مكتفياً بالدافع الأساسي فيها".. (١)

أي توظيفها بما يتفق ومقتضيات القصيدة، فمنهم من يلجأ "إلـــي استحضار الأسطورة كلها داخل القصيدة لحاجتها الفنية إليها، ومنهم من يجزئها أو يعيد صياغتها أو يلخصها بما يتفق مع حاجته إليهـــا، ومع تحقيق الجانب الفني والجمالي من استعراضها ومـــن أوائـــل الشعراء الذين فطنوا إلي أهمية توظيف الأســـطورة فـــي أعمـــالهم الشعرية (أمل دنقل) حيث استطاع أن يحور الأسطورة لتتلائم مـــع

(١) العموض في الشعر العربي الحديث، إبراهيم رماني ص ٩.

معطى معاصر كما في قصيدته (الهجرة إلي الداخل) من ديوانه (تعليق على ما حدث) ويصوغه في أداء فني متميز، يتسم بإحكام نسيجه اللغوي في افتراشه ثوب القصيدة وتكون (إرم العماد) التي لا تظهر إلا في نهاية القصيدة مصباحاً فنياً يؤدي إلي تركيز حاد تجاه بؤرة رامزة فتثير الأسطورة ((الشاعر والمتلقي معاً)) يقول:

أصيح: يا بساط البلد المهزوم
لا تنسحب من تحت أقدامي . . فتسقط الأشياء . .
من رفها الساكن في خزانة التاريخ
تسقط المسميات والأسماء !
أصرخ. . ليس يصل الصوت
أصرخ. . لا يجيب عَرَقَ التربة والسكونُ والموتُ
ويستديرُ حول رأسيَ الطنينُ. .
ويدوم الهواء
أسقط واقفاً . . وخائفاً
أن يحمل الصدى ندائي للهَوَائيات. . فوق أسطح البيوتْ
أبكي إلي أن يستدير الدمع في الحفرهْ
أبكي إلي أن ترسخ الحروفُ في ذاكرة التراب
أعود ضالاً أتبعُ الأسلاك والدمَ والرُّكام
والدمَ المنسابْ

أبحـــث عـــن مـــدينتي الـــتي هجرتهـــا
فـــــــــــــلا أراهـــــــــــــا !
أبحـــــــــث عـــــــن مـــــــــدينتي
يـــــا إرم العمـــــادْ . . يـــــا إرم العمـــــادْ
يـــــا بلـــــد الأوغـــــاد والأبجـــــادْ

ردي إليّ: صفحة الكتابْ وقدح القهوة.. واضطجاعتي الحميمةْ

فيرجع الصدى " كأنه أسطوانـــة قديمـــة يـــا إرم العمـــادْ يـــا إرم العمادْ..(١)

يستفيد الشاعر هنا من المغزى الأسطوري لدلالات المكان القديم " إرم ذات العماد " ويحور فيه ويسقطه على الواقـــع المعاصـــر، إذ يوظفه ليصبح مكاناً متنامياً وشـــمولياً يضـــم الفضـــاءات العربيـــة المهزومة والضائعة والمستكينة سكوناً يصل حد الموت، والغارقـــة بالطنين والخواء.

كما وظف محمود درويش حكايات الحب العذري لجميل بثنية ومجنون ليلي في قصيدته (أنا وجميل بثينـــة) ليرمـــز إلـــي حبـــه الأسطوري لوطنه فيقول:

كَبِرْنـا، أنـا وجميـلُ بُثينـةَ كُـلّ

(١) الأعمـــال الكامـــلة أمل دنقـــل الطبعة الثانية دار الشـــروق ٢٠١٠ ص ٢٢٣،٢٢٥

علـي حـدة في زمـانين مخـتلفين
هـو الوقتُ يفعـل مـا تفعـل الشـمس
يا جميل ! أتكبر مثلك مثلي بثينة؟
تكَـبرُ ياصـاحبي خـارج القلـب
في نظـر الآخـرين، وفي داخلـي
وتستحمُّ الغزالة في نبعا المتدفق من
ذاتهـا هـل هَمَمـتَ بهـا، ياجميـلُ
علي عكس ما قال عنك الرواه.
وهّمـــــت بـــــك؟..[1]

كما وظف أحمد عبد المعطي حجـازي أسـطورة "أوديسـيوس" للتعبير عن دلالة الإحساس بالغربة خارج حدود الوطن في قصـيدته (منتصف الوقت) يقول:

أقول لهـذه الأرض البعيدة: لا تنـاديني!
ولا تسـتعجليني !
لم تـزل ريحـي تهـب
ولم تـزل لي دورة أكملـها
قبل غـروب الشـمس أو منتصف الليل

(١) ديـوان محمـود درويـش، دار العودة بيروت – ط٣ – ١٩٨٠م – ص ١٢١

وما يجعلني؟ إلا التاج معقود على رأسي
ولا بنيلوب عاكفة على قولي . .[١]

فنجد النص هنا يعيد أسطورة أوديسيوس زوج بنيلوب الوفية الذي "احتجزته الآلهة كاليبسو في أوجيجا سبع سنوات، وفي غياب الزوج قام أمراء جزيرة أتاكا بالمنافسة على الفوز بزوجته بنيلوب، ولكنها ظلت تتعلل لهم بأنها يجب أن تنتهي أولاً من عمل كفن والد أوديسيوس الشيح الهرم، وكانت بالليل تنقض ما عملته بالنهار ثم تتكشف الخدعة.... إلي آخر القصة"..[٢] والقارئ لهذه الأبيات يدرك طبيعة التماثل والتشابه الذى يعد قاسما مشتركاً بينها وبين الأسطورة، فالشاعر رحل عن مدينته القاهرة وأقام في فرنسا (باريس) كما رحل أوديسيوس إلي أوجيجا. ولكن أوديسيوس رحل وعاد وجد زوجته بنيلوب الوفية المخلصة في انتظاره، أما عند الشاعر فبنيلوب هي رمز الوطن الذي لم يعد ينتظره، ولذلك فهو لم يعد يتعجل العودة، ويكون الشاعر هنا قد وظف الأسطورة بطريقة مغايرة عن مسارها، فقد أقام من خلال هذه المعارضة الفنية

(١) ديوان مدينة بلا قلب أحمد عبد المعطي حجازي طبع في مطابع أخبار اليوم ص ٢٢

(٢) حول هذه الأسطورة انظر النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة ، بيروت – لبنان ١٩٧٣م،ص٩٤،٩٥

للأسطورة تناقضاً حاداً بين حالة أوديسيوس الذي يتعجل العودة إلي زوجته التي تنتظره، أما الشاعر فإن الوطن لم يعد ينتظره، فكأنه أراد من وراء هذه التوظيف التعبير عن انكسار الذات وعدم إيمانها في تحقيق الحلم داخل الوطن، بالرغم من رغبتها الحانية نحو العودة.

" ومثل هذه التوظيف الرامز للأسطورة يعمق الإحساس الجمالي لدى القارئ، ويكسب القصيدة أبعاداً دلالية ثرية تتضافر مع بنية النص الشعري"..(١)

ويوظف بدر شاكر السياب أسطورة (إرم) في قصيدته "إرم ذات العماد" إرم التي لا يراها الإنسان إلا بعد كل أربعين عاماً بعد أن أخفاها الله عز وجل فيقول:

وكنتُ ذات ليلة
كأنما السماء فيها صَدأُ وقار،
أصيدُ في الرُّميلة
في خورها العميق، أسمعُ المحارْ
موسوساً كأنما يبوح للحصى وللقفار
بموطنِ اللؤلؤة الفريدة

(١) صورة النار في الشعر العربي المعاصر– مصادرها، ودلالاتها، ملامحها الفنية، جمال حسني يوسف ص ٨٥

فـأرهف السَّـمعَ لعلـي أسمـعِ الحـوارْ
وانفـرج الغـيم فلاحـتْ نجمـة وحيـدة
ذكـــرتُ منـــها نجمـــتي البعيـــدة
وقفـــــــت عنـــــــدها أدقُّ
يـــــا صـــــدى أراجـــــعُ
أنـــت مـــن المقـــابر الغربيـــة؟
أحـــــــسُّ في الصـــــــدي
بـــــــرودة الـــــــرَّدي
أشـمُّ فيه عفن الزَّمان والعوالم العجيبة
مـــــن إرم وعـــــادْ . .(١)

حيث استخدم الشاعر هنا أسطورة (إرم) كرمز للجنة المفقـودة، من خلال تجربة بحث عفوي قام به صياد فقير يعيش تجربة البؤس الإنساني، اعتمد فيها على تجربة ذلك الصياد العجـوز، باعتبارهـا الواقع المحسوس فيتذكر الصياد الفقير رحلته المسائية للبحث عـن رزقه في نجمته البعيدة.

كما وظف الشاعر العراقي حسب الشيخ جعفر أسطورة جلجامش في قصيدته (الملكة والمتسول) مشيراً إلي إغراءات عشتروت لإيقاع جلجامش في حبها، قائلاً:

(١) ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت ١٩٧١م – ص ٢٢١

ذق دلالي فهـــو كالشـــهد لذيـــذ
وتنـزه عـبر حقـل مـورق أو رابيـة
ذق دلالي فهـــو كالشـــهد لذيـــذ
اقـترب منـه. . اقـترب مثـل رداء
ثمـــري كالشـــهد حلـــو وجميـــل
ضـــم كفيـــك عليـــه كـــرداء
ثمـــري كالشـــهد حلـــو وجميـــل
آه مـــولاي اقـــترب فهـــو لذيـــذ
وشـــهى كرضـــاب الشـــفتين. .[1]

فقد استحضر الشاعر هنا دلالات الأسطورة الجمالية، وطاقاتهـا الإنسانية لتأكيد جماليات خطابه الشـعري، فمهمـة القصـيدة ذات الأسطورة تتضح في قدرتها على تخليصها مـن فرديتهـا وهمهـا الداخلي، لتصبح في النهاية الدفقة الشعورية والإنسانية التي يحسـها كل إنسان إزاء القصيدة، كما تتضح في قدرتها علي إثـارة الجمـال والمتعة وتحريك الطاقات الفكرية أي في قدرتها على أن تكون رؤية إبداعية وفنية وجمالية.

وهكذا فاللجوء إلي الأسطورة في الشعر العربي المعاصـر هـو عملية جمالية تستهدف البحث عن عالم جميل ملئ بالنور لم يتلـوث

(١) ديوان بدر شاكر السياب– ص ٥٨

بعد بأدران السلطة بأنواعها، سلطة الكلمة، سلطة المجتمع، سلطة السلطة، والعصر الذي أخرجها عصر مظلم، فهي تولد وتخلق لتمنع زحف ظلامه وسوداوية ظلمته على المستوى الفكري والتأملي.

المبحث الخامس
الأنماط الأسطورية لدي العلاق

تبنى جماليات الحدث الشعري على الأسطورة من حيث الإيحاء، والكثافة، والعمق، والامتداد، أى على ما تبثه الأسطورة من دلالات ورؤى تعمل على تعميق المغزى، وإنتاج الدلالات المثيرة " فإذا كان الخطاب الفني هو أداة من أدوات التعبير، ووسيلة من وسائل التوصيل، وهيكلاً لاحتمال المضمون، ومظهراً من مظاهر الوعي الفني والإيديولوجي والديني، فإن الحدث الشعري الذي يبني على الأسطورة يعد في حقيقة الأمر هو المادة التي تتشكل منها اللغة الفنية (الخطاب)، بل هو المحور الذي من حولة تضطرب، والدعامة التي عليها تنهض، فالحدث هو أصل كل فعل، من تاريخ، وقصة، وحكاية، وأسطورة، وما شئت من مظاهر الوعي التي تجسدها اللغة العامة، أو الخطاب الفني الذي يتميز به كل إبداع فذ، ويميز نتيجة لذلك؛ كل جنس من الأجناس الأدبية"..[1]

فالأسطورة الممتعة والمتسقة مع معنى النص الشعري هي التي تمنح النص الشعري نفسه **جمالياته**، ومن هنا تكمن قيمة الشعر جمالياً في مدي انفساح الأفق التأملي والتحليق بوظيفة الفن الشعري

(١) نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر الطبعة الثانية ٢٠١٠ص ٧٤

عبر فضائه الشعوري العميق المتخيل، بالأسطورة التي تمثل قيمة عليا في الوظيفة الشعرية " فالفن في مجاله قيمة عليا، والفنان بصفته كفنان يخدم المطلق الذي لا يقبل مساومة ما لصالح أي مطلق آخر، والشيء الذي يحدد نشاطه هو الجمال الذي يهدف الفنان في إطاره إلي أن ينتج عملاً "..(١)

كما تمثل الأسطورة رؤيا في العمق والجوهر، فما تثيره الأسطورة في القصيدة الشعرية هو تفاعل الشعر مع جوهر الرؤيا لاستقطاب المردود الفني للمغزى الشعري؛ وهذا دليل على أن حضور الأسطورة في الشعر يميزه عن السرد " إن أهم ما يميز الحدث الأسطوري عن الحدث السردي العام الذي نصادفه في الأجناس السردية الأخرى؛ هو التهويل وطلب الخوارق، والتغريب، ونشدان العجائب، وكل ما من شأنه الخروج عن مدى الحجا، والند عن مرمى العقل"...(٢)

وقد وظف الشاعر (على جعفر العلاق) الأساطير في شعره لإبراز الحدث الشعري، ولتعميق فضاءات قصائده الشعرية؛ ولبلورة الرؤيا بمنطق شعوري عميق، أو استجرار عاطفي متناسق، لاستكناه

---

(١) الأسطورة في الشعر، عبد الرازق صالح، ص ٦٦

(٢) آليات السرد في الشعر المعاصر، عبد الناصر هلال طبعة ١، مركز الحضارة العربية ٢٠٠٦ مصر ص ١٢٢.

عطاءات الأسطورة داخل النسق ومحفزاتها النصية " الأسطورة توأم الشعر، وعودة الشعر إليها، إنما هو حنين الشعر لتراب طفولته؛ والأسطورة إذ تحتضنها القصيدة، فلكي تتحول في بنيتها طاقة خلاقة للأداء الشعري؛ حيث يتمثل فيها التراث الشعبي، والعقل الجمعي بصورة عضوية تؤطر موقف وقيم الإنسان تجاه الكون وتجاه تساؤلاته المتعددة"..[١] ولذلك تعد الأسطورة هي الأساس الجمالي في الشعر خاصة عندما تكون الأسطورة مراوغة في حدثها الشعري الأسطوري المجسد، لتكون عامل استثارة وجذب للمتلقي لتلقي النص تلقياً جمالياً، وهذا ما نشهده عند على جعفر العلاق في شعره قائلاً:

مـــــن الـــــذي أغـــــري
ذئـــــابَ الـــــريحْ ؟!
مـــــن الـــــذي أطعمهـــــا
دمـــــاءَ أنكيـــــدو؟
بـــــأي عشـــــبةٍ وعـــــدتنا ؟
بأيـــــا ضـــــريح؟!..[٢]

(١) لغة الشعر، قراءة الشعر العربي المعاصر، رجاء عيد منشأه المعارف الاسكندرية ط ٢٠٠٣ ص ١٥٨

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة على جعفر العلاق الطبعة الأولي ١٩٩٨م المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٣٨

وبالنظر إلي التوظيف الأسطوري في النسق الشعري هنا نجد أن، الشاعر قد اعتمد التساؤلات المفتوحة المفضية إلي تكثيف دلالات الحدث الأسطوري التراجيدي الذي أحدثه الرمز الأسطوري " أنكيدو" وبحضوره والإشارة إليه تتعزز دلالة الرؤية، وتتضح أبعادها: [من الذي أطعمها دماء أنكيدو؟ بأي عشبة وعدتنا... بأيما ضريح ؟!] وكأن الشاعر يأخذ القارئ إلي فضاء الأسطورة؛ لأنه يعي بوصفه ناقداً أن الأسطورة إذا ما وظفت بشكلها الفني اللائق فإنها قادرة على تحفيز الرؤية وتعزيز مردودها ومدلولها الفني، حيث تتغلغل الأسطورة هنا في المنظور الرؤيوي للقصيدة لتمنحها أفقها التأملي المفتوح، وتعلي من أساسها الجمالي وألقها الفني المتوهج، حيث إن أثر الأسطورة الجمالي لا يتبدى إلا من خلال جمالية الرؤيا التي تثيرها الأسطورة، لتمنحها دفقها ومتراس خصوبتها جمالياً، وامتشاقها فنياً ف " كل عمل فني هو موضوع مفتوح على تذوق لا نهائي، لا لكى يكون هذا الفعل مجرد تعلة لتمارين ذاتية تراوح حولها مزاجيات اللحظة، ولكن لأن هذا العمل يتحدد في ذاته، بوصفه مصدراً لا ينفذ من التجارب، كلما تم تسليط الضوء عليه بكيفية متنوعة إلا وأعطي في كل مرة جانباً جديداً فيه"..[١]

(١) حركية الإبداع – دراسات في الأدب العربي الحديث خالده سعيد، دار العودة – بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢م ص ٥٣

وتعد الأسطورة من أبرز مثيرات انفتاح النصوص الشعرية الحداثية على التراث الميثولوجي القديم ؛ لمضاعفة مردودها الفني والرؤيوي في آن واحد؛ شريطة " قدرة الفنان على الاستخدام الذكي، والانتقاء الفني الجيد لعناصر موحية ورامزة في مادتها الأسطورية، ليستطيع أن يخلق لوناً فنياً مستمداً من الامتداد التاريخي؛ والبعد الميثولوجي لتجربته الشعرية "..[١] وحينما نتابع نسق القصيدة نلاحظه يقول:

أنت الذي انكسرت فينا ؟ أم كُسرنا فيك؟
أم كسرتنا ؟ أم أنت من أغرى ذئاب الريحْ؟
يا حزنَ أنكيدو، ويا رداءهُ الجريحْ
لا عشبةٌ نلنا ولاضريح ..."..[٢]

فنجد أن تكرار النداء هنا على لسان الشخصية الأسطورية؛ والاستدراج في تمليها بعمق هو أشبه بالنوح الذاتي إثر فراقه للوطن؛ فكما أن أنكيدو فارق محبوبته وعاش في اغترابه المؤلم الجريح كذلك كان حال الشاعر على جعفر العلاق حينما فارق وطنه العراق وعاد غريباً عنه؛ ولعل قوله: " لا عشبة نلنا ولا ضريح"

(١) الأسطورة توثيق حضاري، سلسلة مماحكات عندما نطق السراة، جمعية التجديد الثقافة الاجتماعية، مملكة البحرين، ط١، ٢٠٠٥م ص ١٨

(٢) الأعمال الشعرية الكاملة علي جعفر العلاق ص ٧٦

دليل على ضيق الشاعر وتأزمه واغتراب نفسه وشعوره، هذا الاغتراب العميق الذي عبر عنه من خلال الرمز الأسطوري، وجسده في نصه بمردود فني جديد؛ اعتمد فيه الحدث الأسطوري بوصفه رابطاً نصياً أو رؤيوياً يشد أواصر النص، ويعمق الرؤيا ومسارها الفني؛ وهذا دليل على " أن الأسطورة تنطلق من حيز حقيقي أو تاريخي، ثم لا تلبث أن تتعلق بحيز أسطوري يخرج بالأسطورة من العالم المرئي إلي العالم غير المرئي، أو من العالم الظاهر الواضح إلي العالم الباطن الخفي الغامض.

وفي قصائد على جعفر العلاق نجد أن نزوعه الأسطوري يعمل على تعميق إيحاءاته الشعرية، هذا النزوع الذي يجعل قصائده ذات مماحكات تخييليه عميقة لا يرتادها إلا الشعراء العظام الذين ملكوا الجرأة على المراوغة، والمخيلة الفذة؛ والكشف، والارتياد إذ تمتلأ نصوص على جعفر العلاق الشعرية بكثير من الرموز والشخصيات والمسميات التي يستند عليها في خضم المكابدة اللاهثة لحمي السؤال وانهماراته. "وكأن الشاعر على بنية راسخة من أن يكون مجرد تلك التكوينات الرمزية، أو أنه يشرع أفق التلقي على استحضار متون حكائية ملفعة بكثير من الاحتدام السلوكي والنفسي الذي آل بتلك الشخصيات التي ذكرها إلي مآلات جزئية من الأسي والقهر والإنكسار الروحي الممض.. و لاستكمال الأبعاد الدرامية الضاربة

في قسوتها فقد أخذ الشاعر تلك الشخصيات- أسطورية وتاريخية معاصرة – بكل ثقلها الدلالي وألقي بها في أتون ما يعانيه وطنه وأهله ليحملها أعباء ومكابدات مضافة إلي تلك التي قدر لها أن توجهها في زمانها التي وجدت فيه؛ ليستعيده راهناً، وتطرحه بين ثنايا هذا الخراب المحيق وتعيش في احتدام ذلك مأساتها مرات مكررة في أزمنة متعددة"..(١)

وهذا ما نراه في قصيدته (نار القرابين) التي استلهم فيها الشاعر الجو الأسطوري الملحمي؛ ليكشف من خلاله الواقع العراقي المؤلم الراهن؛ ويخلق من خلاله موازنة بين ما قدمه العراق من قرابين في الماضي، وما يقدمه الآن في ظل الواقع الراهن؛ وما أقسى أن يكون الوطن كله قرباناً؛ يقدم على طبق من ذهب إلي آلهة القتل والظلم والتدمير؛ فهنا نجد الشاعر قد أخذ يندب العراق بحزن ممض، وأس جارح فيقول:

وطـــــــــــــــــني
أيهـــا الشـــجرُ النـــائح
إلي كـم تناديـك نـارُ القـرابين؟
كـــم ميتـــةً ســـتموتُ.. ؟

(١) أساليب الشعرية العربية المعاصر، صلاح فضل، دار الآداب بيروت لبنان، ط١ ، ١٩٩٥م ص ٥٠

أيـــــــا حُلمـــــــــي؛
أيُهـــا الشـــجن الجـــارحُ
أفي كلِّ عـامٍ إلي مـذبحٍ مـن أسـيً
ورمـــــــادً، يجرجـــــــرُ
أيامَـــكَ الـــذابحَ؟..[1]

فنجد هنا أن توظيف الشاعر علي جعفر العلاق للأسطورة اعتمد على الحراك التساؤلى حيث وجد فيه ميداناً خصباً لتفعيـل الـرؤى الأسطورية؛ خاصة تلك الرؤى التي امتزجت بالأساطير الإغريقيـة القديمة؛ تلك الأساطير التي تحفل باسـتجابات الآلهـة وصـراعاتها الدامية؛ وانتهاكاتها الشرسة؛ التي تمارس سطوتها الخارقـة علـى الموجودات؛ لتقدم لها القرابين؛ وتراق لها الدماء؛ لسطوتها المطلقـة وهيمنتها، لهذا ينتفض العلاق في أسئلته لاسـتكناه أبعـاد الرؤيـة واستجرار موحياتها العميقة؛ فحيث إنـه وراء كـل تسـاؤل نـرى انكشاف وانبلاج لرؤيا من حيز الرماد، وانفتاح لأفق التأمل وتطلـع للخلاص؛ حتى عن طريق الحبكة الأسطورية المراوغة التي يـراود فيها الواقع أو يتمرد عليه إلي الفضاء الماورائي البعيد، مستعيناً بما يبثه السؤال من انفتاح معرفي واحتكام عقلي يراود المنطق والحـس الشعوري العميق؛ يقول الدكتور على حداد: " ومع يقيننـا الـذي لا

(١) الأعمال الشعرية ص ١١٨

نغادره إلي سواه في أن (النص الإبداعي) فاعلية من التأويل الشعوري، والتفاف الرؤية على قيمتها الفنية حتى لا انفصام ولا تفاوت بينهما فإننا نرى في السؤال " عند " العلاق" نصاً داخل النص الأصلي، بل لعله نص يزحزح منظومته التعبيرية؛ ليكون متفرداً بصداحه وانهماكه الانفعالي، حتى بدا لنا أن مهمة النصوص عند الشاعر، هي تبني السؤال والتماهي مع منطوقه السارد في التباعه وأساه، في هذا الخضم المشتبك مع السؤال الذي لا جواب له، إذ هو جواب ذاته المستفيضة باحتدامها، وبذا فقد صار يقيناً لدينا أن ننظر إلي أعمال الشاعر فنقرأها عل حد واحد من التأمل والاستنطاق، لنراها وثيقة شعرية متراصة تداولت مستويات الفجائع العراقية، منذ الحروب ذات المسميات المتلاحقة، مروراً بالحصار الذي طال كل شيء عراقي، ووقوفاً عند الاحتلال الآثم للوطن والعبث بهويته وتاريخه وتطلعات أبنائه"..(١)

وحينما ننظر إلي ما تثيره هذه الرؤي الأسطورية من تخيلات شعرية في القصائد الشعرية، نلاحظ أن الشاعر اعتمد توظيف الحدث الاسطوري بخطي جمالية أسطورية يبرق من خلالها إحساسه الشعوري، فما أصعب أن يندب الإنسان حريته المفقودة أو وطنه

(١) بدر شاكر السياب قراءة أخرى، على حداد، ط١، ١٩٩٨، دار أسامة للنشر والتوزيع ص ٥٦.

الذبيح الذي يقدم قرباناً لآلهة الحزاب والدمار والقتل وإراقة الدماء، وهنا جاءت القصيدة محملة بعبق أسطوري من خلال المدلولات التالية: (وطنى.. أيها الشجر النائح إلي كم تناديك نار القرابين؟!) وهذا يدلنا على أن الشاعر علي جعفر العلاق قادر دوماً على استحداث المؤثرات الأسطورية في قصائده؛ لتشحن فضاءات تخيلاته الشعرية، بتمركز الدلالات، وبعمق الرؤى، وتبئيرها النصى، لتكون قصائده مسكونة ومشحونة بالأساطير. فقصائده هي التي تصنع أساطيرها الخاصة بها بعد أن تحررها من مرجعيتها الأولي " فالشاعر يخرج الأسطورة من نصها الأصلي؛ ليدخلها في نصه هو: يمزق ثوبها البدائي الأول، ويباعد ما بين وحداتها النصية وهكذا فنحن لا نجد أنفسنا أما نص الأسطورة بل أمام أسطورة النص"

ومن هذا المنطلق، تعد القصيدة الأسطورية بؤرة حراك للدلالات، وكثافتها الإيحائية عند على جعفر العلاق؛ بوصفها المحفز الأساس لإنتاج الشعرية، لتحقق غايتها الجمالية؛ فالقصيدة عنده زحف إلي الممنوع والمباغت والإيحائي في الأسلوب النصى وتقطير للأسطورة كما في قوله:

وكان النهارُ يصعدُ عذباً
من سواقي "أوروك"

يُلقـــــــــي لعشـــــــــتار رداءَهُ
تتعـــــالي غيمـــــةُ مـــــن ســـــريرها
الخصـــب يعلـــو طـــائرُ مـــن ثيابهـــا
كغـــزال أهـــو كلكـــامش" هتفـــتُ
فضـــجَّت أنهـــرُ ثـــرةُ، وفـــاض نهـــارُ
والغيـــومُ تكسَّـــرتْ، ســـال منـــها
الضـــــوءُ والعنـــــبرُ القـــــديم
غسَـــــلنا خيلنـــــا بـــــالحنين
أيُّ ســـرير خضَّـــب الكـــون فجـــأة؟
الأبـــاريق طيـــور وغبطـــة والأغـــاني
تنضـــحُ المـــاء كـــالجرارْ كلكـــامشُ
أخـــى القـــديم، طـــائري القـــديم
كـــم بكيـــت عليـــك، كـــم ضـــعتُ
وكـــم أضـــعتُ كـــم هـــديتُ مـــن مغـــارة
ســـوداء، كـــم بنيـــتُ فـــأين كنـــتُ؟
وفي عـــــــــروق أي جـــــــــرَّةٍ
قديمةٍ، ومن هتافِ أي غيمةٍ أتيتُ؟ . . [1]

(١) الأعمال الشعرية ص ٩٤

ومثلما اعتمد الحدث الأسطوري عند العلاق الحراك التساؤلي، هنا نجده قد اعتمد الحراك التأملي والتبئير الرؤيوي الذي يرتكز على تبئير الاسطورة لتفعيل النسق الشعري؛ وتعزيز مردوده الفني؛ فالعلاق نجده هنا يقتنص الأسطورة المثيرة التي تباغت القارئ وتفاجئه بالحيثيات الأسطورية من خلال التلاعب بطقوس الأسطورة وفق ما يرتئيه من منظورات معاصرة محايثة للواقع الآني؛ فالأسطورة ارتداد زمني في الحدث لإتمام كينونة الرؤية؛ وتعميق مغزاها، فحالة عشتار هنا – كما يصفها كلكامش هي التعالي والحب الأناني، هي الأثرة والشهوة إذ حاولت اعزاء كلكامش؛ وكأنها عاشقة متيمة به لكن كلكامش رفض عشتار وأعلن ممانعته وقطيعته وامتشاقه الذكورى.

فالعلاق هنا اقتنص اسطورة كلكامش وعشتار آلهة الخصوبة؛ فعشتار لم تجد في " تموز" متعتها الكاملة وخصوبتها وارتوائها المطلق، فتعلقت بكلكامش "وأرادت بقوة تملكها أن تتزوجه، إذ أطاحت بتموز ودفعته إلي عالم الظلام عنوة، لكن كلكامش خلافاً لتموز (المسكين/الضعيف) الذي هرب من الشياطين، ولم يقدر على تحمل (سطوة عشتار) فقد رفض عشق عشتار هذا العشق المميت؛ إذ رأى بانتعاش ذاكرته، وببصيرته أن هذه الجميلة لا تحبه للحب.. بل تريد تملكه، بالزواج منه، لأنه يدرك أنها حين تقطف ثمرتها مع

محبيها، تترفع عليهم ثانية كإله.. لتمسخهم، أو تطردهم عن عالمها، لأنها لا تتماثل معهم، فبين "البشري" و " الالهي" سيبقي ثمة مسافة لا يلغيها (عشتار). وهكذا، الحب.. عندها في مثل هذه الحالة.. هو تملك أناني"..[1] بهذا الإحساس والشعور جسد العلاق الأسطورة البابلية القديمة؛ بنبض جديد، معتمداً أسلوب التمثل الحواري الأسطوري؛ بمجاورة عميقة يستقرئ أبعادها القارئ من حيث بداعة تساؤلاتها العميقة التي تتغور العمق؛ كما في قوله: " فأين كنت ؟! وفي عروقّ أيّ جرة قديمة، ومن هتاف أيّ غيمةٍ أتيت" وبهذا الأسلوب التساؤلي الحواري الكاشف يتغور العلاق حيز الحدث الشعري، لتعميق الرؤيا ومتتبعاتها النصية بأسئلة مفتوحة تترك إجابتها متجددة كتساؤلاتها اللامدركة في التأمل والحس والكشف.

وقد يعمد العلاق بفنية آسرة إلي عملية مجاذبة نصية ومحايثة في توظيف الأسطورة، ليرصد من خلاله الواقع الدموي المأساوي الحالي الذي تعيشه العراق، من خلال ربط الحدث الآني بالماضي وبالمستقبل، وفق مسار منفتح، ومحايث لهذا الزمن، كما في قوله:

أيـــــــــــــــن أوروك؟!
لا المركـــــــــب تزهـــــــــو،

(١) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتوإيكو، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ص ٣٨

لا رمـــاة علـــى القـــلاع تنـــاءتْ
جثـــــــــثُ في الميـــــــــاه،
حـــــــــبرٌ يصـــــــــلي؛
وبقايـــــا قيثـــــارة تتلـــــوي:
كـــــم مريـــــرٌ خرابـــــكِ
اليـــــوم؛ كـــــم كـــــانَ
مريـــــراً هـــــواكِ بـــــالأمس!
كانـــــت مركبـــــاتُ التتـــــار
تعـــــوي، الأباتشـــــي ظلمـــــةٌ
تأكـــــــل القلـــــــوب..
أكانـــت شمـــس أوروك جذعـــةٌ ؟
أيكـــون المـــوت يومـــاً بدايـــة.(١)

هنا تتضح محفزات الحدث الأسطوري في قصائد علـــى جعفـــر العلاق أنها محفزات نصية مفتوحة على آفاق خصبه من الاستغراق والانفتاح النصى على الطبيعة، يقول زهير أبو شايب "معجم العلاق معجم إشراقي ملئ بالعناصر ومفردات الطبيعة الخصـــوبية"؛ ولـــذا فاللافت للنظر في شعره تلك العبارات الأنيقة التي تضعك فيما يشبه المحراب اللغوي، وتمسكه المدهش بالدلالة؛ بالإضافة إلـــي لجوئـــه

(١) الأعمال الشعرية ص ١٠٩

الملح إلي استخدام الأوزان الخليطة التى تصعد ترقيص اللغة، وتجعلها أكثر خفة وغلياناً وحبوراً " [1] فالشاعر هنا لا يستحضر الأسطورة بقصد المماحكات النصية، أو بقصد إثراء التجربة الإبداعية، لتنطوي على طبقات دلالية متراكبة عديدة فحسب، وإنما يستحضرها؛ ليعري من خلالها هذا الواقع، ويحكي بلسان شخصياتها وتساؤلاتها المحتدمة قلقة وصراعاته الوجودية، وتساؤلاته الاغترابية المأزومة؛ بإحساس شعوري عميق مغمس بنيران الجرح الأسي والفجائع على ما آلت إليه أحوال الواقع العراقي في العصر الراهن، من تناقض وتفاوت، فيقارن بين ما كانت عليه من الأصالة والعراقة والمآثر العظيمة والأمجاد؛ وما آلت إليه أحوالها في ظل الواقع الراهن الذي يضج بأشكال الدمار والانهيار والخراب والتشتت؛

وفي قصيده وطن لطيور الماء وفي مجموعة ممالك ضائعه تنهمك القصيدة في البحث عن المنسيات والمفقودات بلغة نوستالجية عميقة؛ وتشبتك الدلالة بين الوطن الذي كان (وطناً لطيور الماء)؛ والوطن الذي أصبح أشد خراباً وأسي من أي بلاد أخرى؛ يقول:

ذاكَ وجُهكِ، أم جمرة في ثيابى؟
أم هوايَ الذي يتشهّى يَدَيْكِ المغامرتينِ
ويرُقبُ ما يحملُ ليك من مطرِ

(١) الأعمال الشعرية المقدمة ص ١٢

للحشـــــائشِ ذاكَ وجهُـــــكِ . . .
مـــــن أيمـــــا أُفـــــقٍ تنظُـــــرينَ؟
أرى غابـــــةً ملأتْهـــــا العصـــــافيرُ
تهـــرُبُ مـــن مطَـــرِ الصـــيفِ . .
إن موسمَـــــكِ الرخـــــوَد شاشـــــةُ
تخليطُ الصيفَ بالماءِ، والماءَ بالصيفِ
وعيناك عصفورتانِ على طرفِ النهرِ
هـــــل تـــــومئين إلي المـــــاء؟
إنَّ الميـاة تُخفّـقُ مـن ركضِـها . . (١)

ويقول أيضاً:

من إيقاع الصبا يبدأ من حيث ما بدأت به السمراء بابل وضجة الأعشاش المضيئة بوقدة كلكامش تختصر سرة الكون وتختفى بالضحى الفرات العناد من لوعة الطين وهو يقترح النرجس رداء لذكرى رعاة القصيدة للأسى المسكون في رحم الفرات للصغار معلقين نجومهم على فاتحة البساتين اليتيمه. . (٢)

(١) وطن لطيور الماء، علي جعفر العلاق ص ١٢٠
(٢) مجموعة ممالك ضائعة لعلي جعفر العلاق

حيث طيور الماء – التي جفت ماؤها " تهب من النـــوم يابســـة، وكأن الفرات العصي الجريح/ينحني" وكثيراً ما تبدأ القصيدة بتساؤل ملئ بالاسى. إن الوطن الضائع هو ذلك الوطن المقيم في الســؤال، وهو وطن لكل الممالك الضائعة. هكذا يستدعى الوطن سلسلة طويلة من رموز الفقد: جلجامش، أنكيدو، بابــل، كمــا يســتدعي مشــاهد الطفولة، والطلليات، والمراثي، ويحشدها جميعاً، فيما يشــبه مشــهد النواح والندب، ضمن نشيج كوني حزين على كل ما ضاع.

وبتدقيق النظر في معجم على جعفر العلاق الشعري نجد أنه قام باستحضار المؤثرات الأسطورية بأسلوب تقني فني معاصر؛ ليبــث من خلالها معاناة الشعب العراقي؛ ويبين أيضاً الحالة المريرة التي وصلت إليها بلده العراق من ضعف وذل وهوان؛ إثر مرور جحافل الغزاة عليها؛ وما خلفه من فساد ودمار وخزى وعــار؛ فلــم تعــد شمس أوروك وحضارتها مشرقة كما كانــت؛ ولــم تعــد الأمجــاد والانتصارات العظيمة إلا ذكريات للزمن الماضي الجميل، وانتعاش ذكريات الزمن الأسطوري القديم، ولعل المتأمل فــي أبعــاد هــذه القصيدة وموحياتها النصية يدرك أن حزن الشاعر على العلاق حزناً أسطورياً؛ يضج بالجراح والأسى كما في قوله:

كنـــــــت أبكـــــــى
نائحـــاً أســـأل الرصـــافة

والكـــرخ " أغـــني لبابـــلٍ
أم أغنّـــي أرضَ آشـــور؟
كنـــت أهـــذي، أنـــادي:
خُـــذ لأوروك عشـــبةً
خُـــذ بقايـــا جثـــثِ الخيـــلِ
خـــذ يـــدي خـــذْ رمـــادي".(١)

فندب الشاعر هنا على وطنه وبكاؤه عليه بكاء أسطورى؛ ونوحه الجريح على لسان شخصياته الأسطورية نواح على العـــراقُ علـــي مأساته وليله المظلم، ورماد فجائعة ومرارته واحتراقه الدائم، فنوحه كان نواح على دمار معالم العراق وتشويه حضارته التي ما عـــادت إلا بقايا رماد، أو أشلاء لذكريات الماضي، ومأساة الحاضر؛ وهـــذا دليل على أن جعفر العلاق يستقرئ أبعاد الأساطير ليكتب من رؤيته هو ومنظوره المأزوم الجريح؛ إذ يكتب من داخل "لحظة طلليـــة" لا تكتفي بالندب؛ بل تهجس وتستشرف، وتمتلئ بالمناخـــات؛ وتحفـــر نفقها السري لتسريب الضوء... تضيع الممالك، ويبقي الشعر ليـــدل علي ما لا يضيع"..(٢)

(١) الأعمال الشعرية ص ٨٣

(٢) الأسطورة في الشعر ص ٥٣

وتبعاً لهذا تتوالي وتتابع أبيات القصيدة لتمركز رؤيتها النصية على ما تشبه الشخصيات الأسطورية من ارتدادات وأحاسيس نفسية شعورية نادبة حال العراق ومعاناته وما آل إليه، كما في قولة:

طائر يفلتُ من مذبحةٍ
يتلظَّي بين جمرٍ ورمادْ
ساطعاً يعلو، يهوي،
مثلما يومضُ الجرحُ،
علي أسمالِه
لا شذي الحزن،
ولا حبرُ الحدادْ
دامياً يعلو، ويعلو
ناشراً ضوءَه الدامي
مياها وبلاد . .(١)

فقد ضمن العلاق مقبوسه الشعرى هنا أسطورة تثير رؤى ومضامين شعرية، توضح أنه لا يستحث الرؤى الجزئية فحسب؛ وإنما يفاعل المتطورات الرؤيوية الكلية؛ لتغدو القصيدة جرحاً داخلياً ونزفاً؛ لا يندمل، فتغدو الأسطورة هي نفثة من نفثاته الشعورية الدامية بوصفها واسطته السيمولوجية في الكشف عما يعتصر ذاته

(١) الأعمال الشعرية ص ٤٦

الجريحة من آهات ونفثات شعورية تعتصر كيانه قلقاً ووجاعة داخلية يندب إثرها بلاده الضائعة تحت جحافل الغزاة والمتآمرين على وحدتها وزهوها وإشراقها، ليختلط حبر القصيدة بدماء الأسى ونزف آلهة الخصوبة على أنقاض ذكرياتها العريقة وحضارتها القديمة، وتلتحم رؤاه العميقة بمحفزات الأساطير ومداليلها العميقة، وهذا دليل أن " ما هو فني لا يصدر إلا عن ذات حرة، ومن ثمة لا يبني أو يؤثر في المتلقي إلا موجهات الوعي الحر الذي ينفتح على حركية الحياة بوصفها أداءً فنياً طبيعياً؛ وعلى جدليات الموجودات المحسوسة والمتخيلة بوصفها معاني فنية لا تنضب، وعلى الإنسان الآخر؛ بوصفه جزءاً روحياً مدهشاً يكمل قراءة المعني الكامن خلف الأشكال كلها".(١)

وتبعاً لهذا فإن الأسطورة هي جزء من النسق الشعري، بالنظر إلى مؤثراتها الخصبة في التملى والتحفيز الفني لأفق الرؤيا واشتغالها فنياً.

كما أن الشعرية عند على جعفر العلاق تساؤل مفتوح واختراق للواقع، والشاعر إن لم يكن مسكوناً بالتوتر والقلق، والتساؤل، ليس بشاعر حقيقي، أو مبدع حقيقي علي الإطلاق؛ لأن جوهر الشعر الاختراق والاكتشاف وإثارة التساؤلات؛ لتحقيق اليقين ولتحفيز التأمل والبحث والاكتشاف، والشعر الذي لا يتجاوز نطاق الواقع،

(١) أساليب الشعرية العربية المعاصرة، صلاح فضل ص٣٣

ويرتاد آفاق الرؤيا والرؤي الأسطورية لن يحقق الشرط المهم من شروط الإبداع الحقيقي الجوهري ألا وهو لذة التلقي ومتعة الاكتشاف، يقول العلاق "إن القصيدة حين تنصرف عن وصف الأشياء والكائنات وحقائق الوجود فإنها تلامس أفقاً آخر تغدو فيه شعراً آخر، هو في حقيقته، ما وراء الشعر، يتحدث عن فن الكتابة الشعرية، عن وظيفة الشعر، وعن أسراره وألاعيبه الخفية، وبذلك فهو يفصح عن افتتانه بذاته إلي أقصى حد ؛ لكنه يلقى، في الوقت نفسه خيطاً من الضوء يقود المتلقي إلى مكمن الحيرة أو الفاعلية في القصيدة "(١).

فالنص الشعري لم يكن نصاً شعرياً مبدعاً إلا إذا خرق الواقع إلي ما ورائه بطريقة مهيئة ومرتبة ومنظمة، ليحقق متعة ولذة من خلال المناورات الجديدة والاكتشافات المتعددة

(١) الأعمال الشعرية المقدمة ص ١٢

أهم النتائج التى توصل إليها البحث

- حرص العلاق على توظيف الأساطير في قصائده وكذلك حرص على تراكم الأسئلة ومحفزاتها النصية وجعلها ذات حراك دلالي مستمر لتنفتح على ما لانهاية من التأويل والكشف والامتداد النصي.

- اعتمد أيضاً على الحراك التأملي والتبئير الرؤيوي الذي يرتكز على تبئير الأسطورة لتفعيل النسق الشعري، وتعزيز مردوده الفني.

- لجأ الشاعر إلي توظيف الأسطورة في شعره كان واحداً من وسائل التعبير عن ضرورة تطوير الشكل العربي، كما أنه في توظيفه لم يكن نقلاً لوقائع وحكايات سابقة بل كشفاً عن كيفية التوظيف للنفاذ إلي رؤية معاصرة لمعاينة الواقع وتحليل مكوناته في ضوء النماذج والمكونات الحضارية العليا في تاريخ الانسان.

- من أكثر الأساطير التي وظفها علي جعفر العلاق أسطورة كلكامش.

- تثير الأسطورة في قصائده الشعرية رؤى ومضامين شعرية فتجعله لا يستحث الرؤي الجزئية فحسب، وإنما يفاعل المتطورات الرؤيوية الكلية لتغدو القصيدة نزفاً وجرحاً دامياً. معبراً عن الواقع، وهكذا فقد كانت الأسطورة جزءاً من نسقه الشعري، لما لها من مؤثرات خصبة في التملى والتحفيز الفني لأفق الرؤيا واشتغالها فنياً.

المراجـــــــع

- آليات السرد في الشعر المعاصر، عبد الناصر هلال طبعة١، مركز الحضارة العربية ٢٠٠٦ مصر.
- أساليب الشعرية العربية المعاصرة، صلاح فضل، دار الآداب بيروت لبنان ط١، ١٩٩٥م.
- أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نبيله إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ص ١٦.
- الأساطير أحمد كمال زكي الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ المكتبة الثقافية.
- الأسطورة في الشعر عبد الرازق صالح، دار الينا بيع للطباعة والنشر، دمشق سوريا، ط١، ٢٠٠٩.
- الأسطورة والتاريخ في التراث الشعبي القديم، محمد خليفة حسن، دار العودة بيروت.
- الأعمال الشعرية الكاملة علي جعفر العلاق الطبعة الأولي ١٩٩٨م المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الأعمال الكاملة أمل دنقل الطبعة الثانية دار الشروق ٢٠١٠م.
- التذوق الأدبي، طبيعته، نظرياته، مقوماته، معاييره، قياسه، ماهر شعبان عبد الباري، دار الفكر الأردن ط١، ٢٠٠٩،ص٢١٢

- التراث والتجديد في شعر السياب دراسة تحليلية جمالية، عثمان حشلاف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦م.

- الحب عند رواد الشعر الجديد رموزه ودلالاته، عبد الناصر حسن محمد، شركة الأمل للطباعة والنشر، ط١، القاهرة ٢٠٠٩م.

- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح أحمد، الناشر دار المعارف، القاهرة ط٣، سنة ١٩٨٤م.

- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية عز الدين إسماعيل دار العودة بيروت – لبنان ط٣ – ١٩٨١م.

- الشعر والدين فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي كامل فرحان صالح، دار الحداثة، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٥م.

- الغفران في ضوء النقد الأسطوري، هجيرة لحور، شركة الأمل للطباعة والنشر ط١- القاهرة ٢٠٠٩م.

- الغموض في الشعر العربي المعاصر، إبراهيم رماني، صدر عن وزارة الثقافة في الجزائر عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٧م.

- المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، ابن عباس، ابن قتيبه، مَكى بن أبي طالب، أبو حيان، إعداد وترتيب الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان. دار العلم للملايين

- النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة: نضال صالح، منشورات اتحاد الكتاب العربي ٢٠٠١م.

- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة بيروت – لبنان ١٩٧٣م.
- بدر شاكر السياب قراءة أخرى، علي حداد، ط١، ١٩٩٨م دار أسامة للنشر والتوزيع.
- حركية الإبداع- دراسات في الأدب العربي الحديث، خالده سعيد، دار العودة – بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢م
- ديوان بدر شاكر السياب دار العودة بيروت ١٩٧١م.
- ديوان محمود درويش دار العودة بيروت ط ٣ – ١٩٨٠م.
- ديوان مدينة بلا قلب أحمد عبد المعطي حجازي. طبع في مطابع أخبار اليوم
- سلسلة عندما نطق السراة: الأسطورة توثيق حضاري جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، مملكة البحرين، ط١، ٢٠٠٥م.
- صورة النار في الشعر المعاصر، مصادرها، دلالاتها، ملامحها الفنية، جمال حسني يوسف، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ط ٢٠٠٥م.
- في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، رمضان الصباغ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع الاسكندرية- مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

- لسان العرب لابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكـــرم ١٩٨٨ بيروت دار الجيل، ودار لسان العرب.

- لغة الشعر، قراءة الشعر العربي المعاصر رجاء عيد منشـــأة المعارف الاسكندرية ص ٢٠٠٣.

- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر الطبعة الثانية ٢٠١٠ص ٧٤.